

عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(028) سورة القصص

محاضرة في الأردن

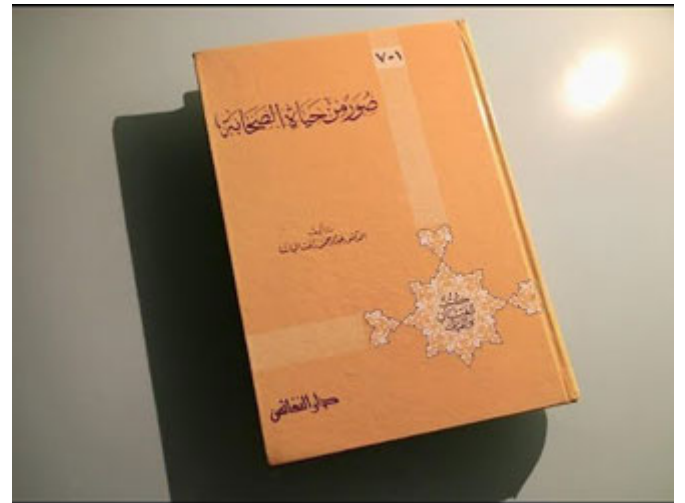
2020-06-29

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغرّ الميامين؛ أمناء دعوته وقادة ألوته وارصّ عنا وعنهم يا رب العالمين.

إخواننا الأحباب: اسمحوا لي باعتبار أن الجو جميلٌ واستثنائيٌّ مع هذه النسمات العليّة، أن يكون اللقاء أيضاً استثنائياً، فقد أكرمني الله عز وجل بمولود أسميته عمر، وقد كنت وما زلت وسأبقى إن شاء الله أحب سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه، ومرّة أقيت خطبةً في مسجد النابلسي بدمشق عن سيدنا عمر فأصبح الناس بعدها يكتنونني بأبي عمر قبل أن يأتي عمر، لما رأوا من شدة محبتي لهذا الخليفة الراشدي العظيم.



كتاب صور من حياة الصحابة
سيدنا عمر شخصية استثنائية بكل الأبعاد والمقاييس، وكنت أقرأ في مطلع كتاب صور من حياة الصحابة وهو من أجمل الكتب في السيرة لمؤلفه عبد الرحمن الباشا الحلبي، وقد كتب في مقدمته بخط يده: اللهم إني أحببت صحابة نبيك صلى الله عليه وسلم حباً لا يفوقه إلا حبي لنبيك صلى الله عليه وسلم فهني يوم الفرع الأكبر لأيّ منهم فإنك تعلم أنني ما أحببتهم إلا فيك يارب العالمين.

وكانت هذه الكلمات تؤثر فيّ وأطبقها على سيدنا عمر بن الخطاب فأقول: إني أحببته حباً لا يفوقه إلا حبي لنبيك ولأبي بكر رضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين، فهني يوم الفرع الأكبر له، فإنك تعلم أنني ما أحببته إلا فيك يارب العالمين، فالحديث اليوم عن سيدنا عمر وعن بعض ملامح شخصيته مما يفيدنا ويمكن أن نستقي منه دروساً وعبراً.



سيدنا عمر عُرف بالشدة والقسوة

بداية الحديث من قصص تروىها أم عبد الله بنت حنمة، كانت من المهاجرات إلى الحبشة، فتقول: لما كنا نرتحل مهاجرين إلى الحبشة أقبل عمر، كان مشركاً، حتى وقف عليّ، وكنا نلقى منه البلاء والأذى والغلظة علينا، فقال لي: إنه الانطلاق يا أمّ عبد الله؟ نويتم الرحيل، قلت: نعم، والله لنخرجن في أرض الله، أذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجاً، فقال عمر: صجيكم الله، قالت: ورأيت منه رقّة لم أرها قط. الناس يعرفون عن عمر الحزم، الشدة والقسوة، لكن عمر رضي الله عنه لما ولّي الخلافة قال: والله إن هذا الأمر لا يناسبه إلا ما ترى، والله لو يعلم الناس ما في قلبي لأخذوا عني عيائني هذه، من شدة تواضعه ولبنه للمسلمين، فهو كان ليناً في موضع اللين وشديداً في موضع الشدة. فلما جاء عامر بن ربيعة وذكر له ذلك قال: كأنك طمعت في إسلام عمر؟! مستكراً عليها، قلت: نعم، فقال: إنه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب! فكان يائساً من إسلام عمر، لشدة عمر ومعرفته به وبأنه لا يبلين جانبه. إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله عز وجل من وحي السماء وبما آتاه الله عز وجل من حكمة القيادة والخبرة بالرجال؛ كان يقول:

{ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ يَا بِي جَهْلٍ أَوْ يُعَمَّرَ بِنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيَّ عُمَرُ }

(أخرجه الترمذي بسند صحيح)

فأعزّ الله الإسلام بعمر، الشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطلب القدوات والتّخَب، فعمر إذا أسلم أسلم معه خلق كثير، وعمر إذا أسلم أعزّ الله الإسلام به لقوته ولبأسه ولمكانته في القبيلة فكان صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك، لكن في الوقت نفسه النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بإسلام عمر يقتدي به الناس في الإسلام ويُعزّ الله به الإسلام، لكنه لا يتنازل صلى الله عليه وسلم عن شيء من الدين لرجل من الرجال كائناً من كان، فهذه هي المعادلة، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو: (اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، أَبِي جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ أَوْ يُعَمَّرَ بِنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيَّ عُمَرُ) رضي الله عنه، فأسلم عمر بعد هذه الحادثة بقليل، حادثة أم عبد الله بنت حنمة التي روتها، في السنة السادسة للبعثة، كانت نقطة البداية كما يقول كتاب السيرة لبن القلب من الكلمات التي انطلقت من هذه المرأة، نظرت إليها عمر، امرأة تهاجر وتترك أرضها لا شيء إلا لأن قومها يسومونها سوء العذاب وهي لم تفعل شيئاً إنما تلتزم دينها وتلتزم أمر ربها، فعمر رضي الله عنه في هذه اللحظة بدأ شعاع الإيمان يدخل إلى القلب.



كل إنسان فيه خير

إخواننا الكرام: كل إنسان فيه خير، لكن بطولتنا أن نبحت عن مكان الخير في تلك النفس فنحرك الخير الذي فيها، لا تيأس من أحد، هذا عبد الله بن ربيعة كان يائساً من عمر فقال: لا يسلم حتى يسلم حمار ابن الخطاب، وبعد قليل أسلم عمر، لماذا يئست منه؟ أم عبد الله ما يئست، كانت تطمع في إسلامه، أسمعتة كلمات رقت قلبه، ولعل بعض أعمال عمر تكون يوم القيامة في صحيفة أم عبد الله لأنها أسمعتة كلمات أثرت فيه: قهرتمونا، أذيتونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً، سترك أرضنا من قهركم، فحرك ذلك كوامن المروءة والنخوة فيه، ومن هنا انطلق عمر إلى الإسلام.

{ مَارِلْنَا أَعَزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ }

(صحيح البخاري)



علم النبي الكريم بمكانة سيدنا عمر

ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت، من أذى المشركين، ونصلي، حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وطفنا بالبيت، لم يطف المسلمون بالبيت أحراراً أعزّة إلا بعد إسلام عمر، انظر إلى استشراق النبي صلى الله عليه وسلم للمستقبل: (اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ يَعْمَرَ) هو يعلم من عمر فأنى الله به.

إخواننا الأحياء: عمر رضي الله عنه لو تحدثنا عن مواقفه بعد إسلامه وبعد توليه الخلافة فالأمر يطول ويحتاج إلى دروس، لكن أريد أن آخذ مقتطفات من سيرته ونعلق عليها بما يفتح الله.

موافقات عمر رضي الله عنه

من أكثر الأمور التي تحدث الناس عنها والتي أريد أن أعلق عليها موافقات عمر، ما معنى موافقات عمر؟

{ قال عمر بن الخطاب: وافقني ربي في ثلاثٍ، أو وافقني ربي في ثلاثٍ، قلتُ: يا رسول الله، لو اتّخذت من مقام إبراهيم مصلًى، فنزلتُ { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } وقلتُ: يا رسول الله، يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، وقال: وبلغني معاتبَةُ النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلتُ عليهنَّ، فقلتُ: إن انتهيتنَّ أو لبيدنَّ الله رسوله خيراً منكنَّ حتى أتيتُ إحدى نساءه، فقالتُ: يا عمر، أما في رسول الله ما يعطى نساءه حتى تعظهنَّ أنت فأنزل الله { عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكُنَّ } }

(صحيح البخاري)

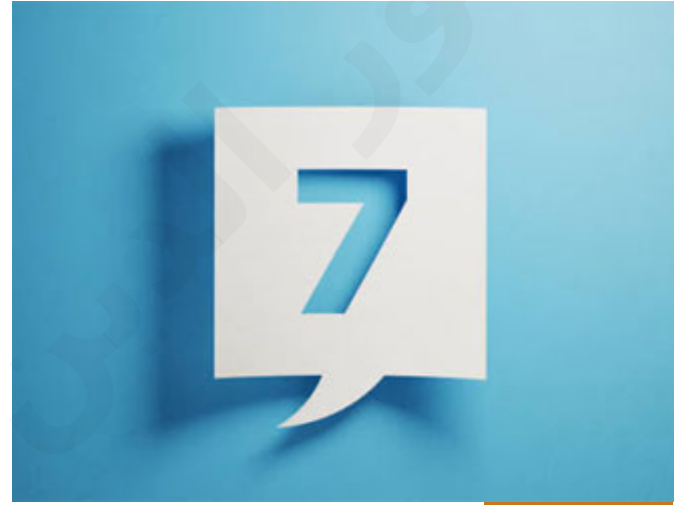
الموافقة مشاركة، وافقتك وأنت وافقني أيضاً، فالموافقة تعني المشاركة، هو تشوفت نفسه إلى هذا الأمر، فجاء الوحي بما تكلم به عمر رضي الله عنه، فانظروا إلى موافقات عمر.

أيضاً من موافقات عمر رضي الله عنه: الصلاة على المنافقين، يقول عمر رضي الله عنه:

{ لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سُلُولٍ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَبْتُ }

إِلَيْهِ حَتَّى قُضِيَ فِي صَدْرِهِ، فَأَخَذَتْ بَثْوِيهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصَلِّيَ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَرْسَلٍ، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ أَعَدَّدَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لَهُمْ، أَوْ لَا تَسْتَغْفِرِ لَهُمْ، إِنَّ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: أَخَّرَ عَنِّي يَا عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: إِنِّي خَيْرْتُ فَاخْتَرْتُ قَدْ قِيلَ لِي (اسْتَغْفِرِ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرِ لَهُمْ إِنَّ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) لَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَمَشَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ فَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمُكُثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَ الْآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةِ: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا) إِلَى (وَهُمْ قَاسِقُونَ) قَالَ: فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ وَلَا قَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ، قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ }

(أخرجه البخاري)



التكثير في اللغة العربية

هذه ترجمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عدد السبعين هنا يقول العلماء: ليس له مفهوم، كما تقول الأم لابنها: قلت لك مئة مرة لا تفعل! هي ربما قالت له ثلاث أو أربع مرات فقط، أو أخبرتك سبعين مرة أن تقوم بذلك ولم تفعل، فدائماً العدد سبعة ومفرداته تأتي في اللغة العربية للتكثير، فقال: والله لو أعلم أن الله لو زدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُمْ لَزِدْتُ، لكن العدد للدلالة على أنه لن يغفر الله لهم.

أيضاً لما جاء أسرى بدر، فأبو بكر رضي الله عنه برقته اقترح الفداء، أن يُفدى الأسرى بالمال أو بالتعليم، يعلم عشرة ويُفدى، وحكم الفداء موجود، فالأسير في الإسلام له حكمان: (قَائِمًا مَتًّا بَعْدُ وَإِمَامًا فِدَاءً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنتَحَمَوْهُمْ فَصَدُّوا أَلْفَاكًا حَتَّى وَإِذَا كَفَرُوا فَفَاءٌ حَتَّى تَصْعَ الْخَرْبُ أَوْزَارَهَا

(سورة محمد: الآية 4)

الأسير في الإسلام



الأصل في التعامل مع الأسير

قتل الأسير حالة استثنائية، ليست أصلاً في التشريع، التشريع الإسلامي جاء بـانثنين؛ بالـمَن أو الفداء، (قَصَرَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَحْتُمُوهُمْ) انتهت المعركة وانتصرتكم (فَسُدُّوا الوُثَاقِ) الأسير (فَإِمَّا مِمَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) فالإسلام شرع المن وهو الإطلاق بغير عوض، تمن عليه تقول له: اذهب لا أريد منك شيئاً، (وَإِمَّا فِدَاءً) تطلب منه مالا، أو تطلب منه أن يعلم أحداً، أو غير ذلك، (فَإِمَّا مِمَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَصَّعَّ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا) فالأصل هو المن والفداء أما القتل فهو الحالة الاستثنائية، لكن في معركة بدر نزل قوله تعالى موافقاً لعمر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا كَانَ لِتَيْبٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُنَجِّنَ فِي الْأَرْضِ

(سورة الأنفال: الآية 67)

فالأسرى والفداء كل هذا يكون بعد أن يكون لك الغلبة، فلا تبدأ بالأسرى وبالفداء وأنت ما زلت مستضعفاً، تنتصر عليهم بعد ذلك تمنّ عليهم، أو تفديهم، فهذا كان رأي عمر، فنزل القرآن برأي عمر قال: (مَا كَانَ لِتَيْبٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُنَجِّنَ فِي الْأَرْضِ) الأسير يكون بعد الإنجاء في الأرض.

موافقة سيدنا عمر في تحريم الخمر

أيضاً من أروع الأمور من موافقات عمر تحريم الخمر:

{ عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتًا شَافِيَةً، فنزلت الآية التي في البقرة: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) قال: فدُعِيَ عمرُ فُقرئت عليه، فقال: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتًا شَافِيَةً، فنزلت الآية التي في النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أُقيمت الصَّلَاةُ يُنادي: أَلَا لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سُكَارَى، فدُعِيَ عمرُ فُقرئت عليه، فقال: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتًا شَافِيَةً، فنزلت هذه الآية (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) قال عمر: انتهينا {

(أخرجه أبو داود بسند صحيح)

فعمر رضي الله عنه كان ينظر إلى الناس يشربون الخمر، وهذا شيء يخالف العقل، يخالف الفطرة، فكان يدعو فيقول: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتًا شَافِيَةً، فنزل قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا

(سورة البقرة: الآية 219)



علة التدرج في الحكم

فقرؤوها على عمر فقال: اللَّهُمَّ أنزل لنا في الخمر بيانًا شافيًا، لم يرتج، هذا ليس بيانًا شافيًا، طبعًا هو تدرج، الله تعالى يتدرج بالحكم، هذا ليس من باب النسخ كما يظن البعض، هذا باب التدرج فقط، تدرج بالحكم حتى ينتقل المجتمع من حالة شرب الخمر إلى حالة الانتهاء يحتاج إلى مدة، فنزل الأمر بالتدرج فنزلت الآية الأولى، فنزل قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ

(سورة النساء: الآية 43)

فكان المنادي ينادي: لا يقرب الصلاة سكران، فسمعها عمر فقال: اللَّهُمَّ أنزل لنا في الخمر بيانًا شافيًا، حتى نزلت آية المائدة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ

(سورة المائدة: الآية 90-91)

فقال عمر: انتهينا، انتهينا، شفي صدره.

توافق الشرع والفطرة

موافقات عمر تدل على شيء مهم جدًا في الشريعة وهو ما يسميه العلماء اليوم بمقاصد الشريعة، كل حكم أنزله الله تعالى له مقصد.



العقول تصل من غير نور الشرع

لم يأمرنا الله تعالى بشيء إلا وفيه مصلحتنا، ولا نهاى عن شيء إلا وفيه مفسدتنا، فالذي يقود إليه عقلك السليم أو فطرتك الصافية هو شرع الله، لكن قد تقول لي: إذا لماذا الشرع؟ أقول: لأن العقول تصل، إلعقول وحدها من غير نور الشرع تصل. كم من عقول اليوم في ميادين الحياة أبدعت وأبدعت لكن ما هداها العقل إلى وجود إله للكون، كم من عقل الآن يبيع في وكالة ناسا للفضاء يرى بأم أعينه الكواكب والمجرات والفضاء ولا يسلم، بل لا يقر بوجود خالق للكون، تجده ملحدًا! إذا هذا العقل من غير نور الشرع ضلال، والفطرة أيضًا، هذه الفطرة التي أودعها الله فينا التي تحب الخير وتكره الشر، أيضًا من غير شرع تلمس بعد حين، فتجد من يقتل ويسفك الدماء ويفعل ويفعل وينام ملء عينيه ولا فطرة تؤنبه ولا ضمير يحركه، فالفطرة والعقل ليسا مؤهلين لإعطاء تشريعات، لكن في الحقيقة لو جئت إلى العمق فالعقل السليم والفطرة السليمة الصافية كلاهما يُقرآن بما يأتي به الشرع، فبعد يوم كان يطلق العنان لعقله السليم وفطرته السليمة كان يأتي بالأحكام الشرعية قبل أن تنزل، هو ينظر فيقول: هذا غير صحيح، يدخل البر والفاجر على رسول الله والنساء غير محجبات هذا ليس شرع الله، لأن هذه الفطرة تأتي ذلك، جاء الشرع، نظر عمر إلى الخمر، الخمر يذهب العقل، والشرع يدعونا إلى حفظ العقل إذا لا بد أن تحرم الخمر، جاء تحريم الخمر، إذا سيدنا عمر عندما كان ينطلق في هذه الموافقات: كان ينطلق من قواعد عقلية وفطرية سليمة مئة بالمئة، سيدنا عمر ليس نبيًا، لا يوحى إليه، لكن هذه الإشرافات كانت تأتي من نور العقل ونور الفطرة السليمة يوم تجردت بالشكل الصحيح.



الربا مهلكٌ للأمم

مثلاً الربا: بالعقل السليم الربا مهلكٌ للأمم، بالعقل التبريري الربا شيء جيد، اليوم الاختلاط غير المنضبط بضوابط الشرع: بالعقل التبريري لمن يحبون أن يجلسوا في الجلسات الماجنة ومع النساء الكاسيات العاريات يقول لك: هذا حضارة وتقدم ورقي، فليتجرد العقل ولتتجرد الفطرة قل له: زوجتك، ابنتك، يبدأ يصغر ويستجيب لأمر الشرع، فالشرع لم يأت بشيء يخالف الفطرة ولا بشيء يخالف العقل.



الشرعة عدلٌ كلها

لذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: الشرعة عدلٌ كلها، رحمةٌ كلها، مصلحةٌ كلها، فأى قضية أخرجت من العدل إلى الجور أو من المصلحة إلى المفسدة، أو من الرحمة إلى خلافها فهي ليست من الشرع ولو أدخلت عليه بألف تأويل وتأويل. لا يوجد مفسدة في الشرع، لا يوجد جور في الشرع، لكن العقل يجب أن يكون سليماً، صريحاً، والفطرة يجب أن تكون سليمة، إذاً سترتاح لأن شرع الله يستحيل أن يخالف العقل الذي خلقه الله أو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، هذه موافقات عمر.

موقف سيدنا عمر من صلح الحديبية



شروط صلح الحديبية

عمر رضي الله عنه شارك بكل المشاهد والغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدءاً ببدر، شارك في كل الغزوات، لكن أحب أن أروي قصته في صلح الحديبية لأننا نفهم شخصية سيدنا عمر بشكل جيد من خلالها، النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع قومه المسلمين يريد العمرة ووصل الحديبية وتم التفاوض وأرسل رسوله وأنهى الأمر بتوقيع صلح، وكان هناك بنود في الصلح، وعمر كان أكثر من استنفر لبنود هذا الصلح التي هي في الظاهر مجحفة بحق المسلمين، أهم بندين أثارا حفيظته: البند الأول: أنهم لن يعتمروا هذا العام، سيعودون من حيث أتوا للعام القادم، وهم متشوقون للعودة للطواف بالبيت، والأمر الثاني: أن المشركين إذا جاءهم مسلم مرتد عن دينه فإنهم لا يردونه، أما العكس فغير صحيح، فإن جاء المسلمين من المشركين أحد يريد الإسلام يعيدونه، فالشرطان في ظاهرها إجحاف كبير، عمر رضي الله عنه لم يتحمل، شخصية عمر ظهرت هنا، عمر رضي الله عنه شخصية انفعالية جداً وقوية في الحق ولا تقبل في الحق لومة لائم، مجتمعنا بحاجة إلى حزم عمر، بحاجة إلى رقة أبي بكر، بحاجة إلى حياء عثمان، بحاجة إلى أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح، النبي صلى الله عليه وسلم كان يضع كل رجل في موضعه، في مكانه، ورد في بعض السير كان يقال له: فلان، يقول: ليس هناك، يعني هذا ليس هناك، له مكان آخر.

{ وَعَنْ أَبِي دَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَا تُسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَصَرَبَ يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا دَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزَائِرٌ وَتَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا، وَفِي رَوَاتِهِ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا دَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُجِبُّ لَكَ مَا أُجِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ }

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)



الجرأة في الحق

خالد بن الوليد كان في المعارك، أبو هريرة كان راوي حديث، حسان بن ثابت كان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان كل رجل له مكانه، سيدنا عمر هو تلك الشخصية الانفعالية جداً التي لا تخضع إلا للحق، لما قرأ شروط الصلح المجحفة في نظره وفي نظر الكثيرين توجه فوراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظروا الجرأة في الحق، وانظروا النبي صلى الله عليه وسلم كيف يتقبل الرأي الآخر وكيف يسمع له، وانظروا كيف النبي صلى الله عليه وسلم ليس عنده ما يسمى بالقمع، القمع: أي أنه لا أحد يستطيع الكلام، سمع منه صلى الله عليه وسلم.

{ وثب عمرُ بنُ الخطابِ فأتى أبا بكرٍ قال: يا أبا بكرٍ أليس برسولِ الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال أو ليسوا بالمشركين!. قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا!. قال أبو بكرٍ: يا عمرُ الزم غرَّه - أمره - فإني أشهدُ أنه رسولُ الله. قال عمرُ: وأنا أشهدُ أنه رسولُ الله!. ثم أتى رسولَ الله فقال: ألسنت برسولِ الله! قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين! قال: بلى. قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا! قال أنا عبدُ الله ورسولُهُ، ولن أخالفَ أمرَهُ، ولن يضيعني. }

(متفق عليه)



ما دمت على حق لا تتنازل عن مبادئك

(عَلَامٌ تُعْطَى الدِّينَةُ فِي دِينِنَا؟) قول عمر هنا لم يكن في موضعه لكن هو قول حق، عَلَامٌ تُعْطَى الدِّينَةُ فِي دِينِنَا؟ مادمت على الحق لماذا تتنازل عن حقك ودينك إرضاءً لهم؟ لماذا تحذف من مناهجك شيئاً لا يرضيهم؟ لماذا إذا ظهرت على الإعلام تظهر بمظهر المسلم البسيط الذي ليس في دينه إلا الرحمة والتسامح والحب والخير وليس فيه أبداً أي أظافر كما هي كل القوانين والشرائع الوضعية التي تضع حدوداً للحفظ؟! أما المسلم فقط فينبغي عليه أن يعطي الدِّينَةَ في دينه وأن يتنازل عن مبادئه وعن ثوابته وأن يلغي من أحكام شرعه من أجل أن يرضى الطرف الآخر عنه!

فقال: عَلَامَ تُعْطَى الدِّيَّةُ فِي دِينِنَا؟ الْآنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ كَلَامُهُ لَكِنْ قَالَ: (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ) ذكره بالوحي، القضية الآن ليست قضية تفكير إذا جاء الوحي الموضوع انتهى،



مع الوحي لا يوجد نقاش

(قال: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي) فقط، في رواية ثانية: (قال: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، لَنْ أَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي) هذا حسم بقضية الوحي، الوحي شيء والمناقشة الفكرية والعقلية شيء آخر، مع الوحي لا يوجد نقاش.

التزام أمر الله فهو الأمر والضامن سبحانه وتعالى

{ عن محمد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زُوَيْمَانَ، عَنْ غُرَّةِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَحَدَّثَنِي الرَّهْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ خَبَّانٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، قَبَعْضُهُمْ قَدْ حَدَّثَ يَمَّا لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ بَعْضُ، وَقَدْ اجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ فِيمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ يَوْمٍ بَدْر، قَالُوا: فَلَمَّا جَاءَ أَذَى مَاءٍ مِنْ بَدْرِ تَرَلَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْخُبَّابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنَزِلُ أَنْزَلَكَ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ تَتَعَدَّاهُ، وَلَا تُقَصِّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، فَقَالَ الْخُبَّابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنَزِلٍ، وَلَكِنْ انْهَضْ حَتَّى تَجْعَلَ الْقُلُوبَ كُلَّهَا مِنْ وَرَاءِ طَهْرِكَ، ثُمَّ عَوِّزْ كُلَّ قَلْبٍ بِهَا إِلَّا قَلِيًّا وَاجِدًا، ثُمَّ اخْفِزْ عَلَيْهِ حَوْصًا فَنُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَتَسْتَرْبُ وَلَا يَسْتَرْبُونَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قَدْ أَسْرَتِ بِالرَّأْيِ }

(أخرجه البيهقي)

أخذ بالمشورة وعلمنا الأخذ بالمشورة لكن ليس عندما يكون هناك نص شرعي، لكن عندما تكون القضية خاضعة للعقل.



الأمر ضامن

الآن شخصية أبو بكر رضي الله عنه، (قال أبو بكر: يَا عُمَرُ، أَلَزِمَ عَزْرُهُ) صلى الله عليه وسلم، (الزَّمَّ عَزْرُهُ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ الْحَقُّ مَا أَمَرَ بِهِ وَلَنْ نَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَلَنْ يَضِيعَنَا اللَّهُ) هذا درس بليغ من سيدنا أبي بكر: أنت التزم الأمر والله لن يضيعك، أنت فقط التزم الأمر والله لن يضيعك، مستحيل، أنت تقبل في الدنيا من شخص له مكانة يلزمك بأمر ثم تأتي الأمر ثم يتخلى عنك؟ تقول: كيف تخلى عني هو أمرني؟ الأمر ضامن، فالله تعالى عندما يأمر بالصدق فهو يضمن النتائج، وعندما يأمر بالعفة هو يضمن النتائج لن يضيعك الله، حاشاه جل جلاله.

(فقال: أَلَمْ عَزَّزْهُ، وَلَنْ نَخَالَفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يَضِيعَنَا اللَّهُ) الآن جاء أبو جندل مسلماً، النبي صلى الله عليه وسلم التزم بالمعاهدة، فردّه، وكانت صعبة على النبي صلى الله عليه وسلم، بعد حين شكلوا قطاع طرق -كما يقال- على الطريق وأصبح المشركون يقولون لمحمد صلى الله عليه وسلم: خذهم إليك، فهم يقطعون الطرق علينا، فلما تبين لماذا وافق رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلح وكان فتح مكة فيما بعد وأعز الله الإسلام إلخ... تبين لعمر رضي الله عنه ذلك. يقول عمر:

{ مَا زِلْتُ أَصُومُ وَأَتَصَدَّقُ وَأُصَلِّي وَأُعْتِقُ مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ يَوْمَئِذٍ حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ حَبْرًا. }

[أخرجه أحمد بسند صحيح]

هذه شخصية عمر، هو ينتصر للحق لكن عندما يجد الوحي أو يجد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يجد الحق في مكان آخر ينصاع فوراً للحق لأنه مُتَّبِعٌ للحق.

العداوة لا تكون بشكل شخصي



عمر لا يعادي إلا بالحق

عمر بن وهب جلس مع صفوان بن أمية في فناء الكعبة يتذاكران قتلى بدر، بعد المعركة، وبلحظة انفعال قال عمر بن وهب: والله لولا ديون لزممتي وأولادُ أخشى عليهم الضياع من بعدي لذهبت إلى محمدٍ وقتلته وأرجتكم منه، صفوان بن أمية خبث النفس استغل الموقف فوراً قال له: ديونك عليّ مهما بلغت، أنا أدفعها، وأولادك أولادي ما امتدت بهم الحياة فاذهب إليه واقتله وأرجنا منه، هذا عربي ومن العار عليه الرجوع عن كلامه، قال له: اكتم أمري، قال له: كتمت أمرك، ركب واتجه إلى المدينة، الآن رآه عمر بن الخطاب متأبطاً سيفه قد سقاه سُمًّا، فقال: هذا عدو الله عمر ما جاء يريد إلا شرّاً، أخذ منه السيف وكبله من تلايبيه وقيده ثم أدخله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، هذه شخصية عمر، قال: "هذا عدو الله عمر جاء يريد شرّاً" قال عمر: عم صباحاً، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: قل: السلام عليكم، قد أبدلنا الله بتحقيق خير من تحبكت، قال له: ما أنت ببعيد عهدٍ عن تحبكت يا محمد، قال: أطلقه يا عمر، ادنُ يا عمر، دنا، قال: ما الذي جاء بك؟ قال: جئت أفندي ابني من الأسر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وما هذه السيف التي في عنقك؟ الذي يأتي للعداء لا يحمل سيفاً، وما هذه السيف التي في عنقك؟ قال: فبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر؟ قال: ألم تجلس أنت وصفوان بن أمية في فناء الكعبة وتقول له: لولا ديون لزممتي وأولادُ أخشى عليهم العنت من بعدي لذهبت إلى محمدٍ فقتلته وأرجتكم منه، فتحمل دينك وتحمل أولادك وجئت لتقتلني، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، لأن هذا الذي دار بيني وبين صفوان لا يعلمه إلا الله، وأنت رسوله، الآن عمر بن الخطاب في بعض الروايات يقول: دخل عمر إلى رسول الله ووجه الخنزير أحب إلي من وجهه، وخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحب إلي من بعض أولادي، هذه شخصية عمر، هو مع الحق، فلا يعادي إلا بالحق، ولا يوالي إلا بالحق، ولا يعطي إلا بالحق ولا يمنع إلا بالحق، فالعداوة ليست شخصية وإنما لما يحملها العدو في داخله.

فقه المقاصد عند سيدنا عمر

أيضاً عبد الله بن أبي بن سلول، زعيم المنافقين، عندما قال عمر: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال:

{ دَعُهُ، لَا يَتَخَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ أَضْحَابُهُ }

[أخرجه مسلم]



الوعي بفقهِ المقاصد

هذه الدعاية الإعلامية، هو منافق وأنا أعلمه منافقاً، وأنت تعلمه منافقاً، لكنه عند الآخرين صحابي فلم أقتله؟ يُحَدِّثُ الناس أن محمداً يقتل أصحابه فيكون ذلك حازماً بينهم وبين دين الله، هذا فقه الأولويات، هذا فقه المقاصد، فعمر رضي الله عنه فوراً وعى فقه المقاصد، فلما انتشر نفاق عبد الله بن أبي بن سلول وعلم أنه منافق وأصبح كل الناس يعلمون أنه منافق، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر، انظروا إلى التربية، يقول له: يا عمر كيف بك لو قتلته يوم قلت لي أقتله؟ فيقول عمر: والله يا رسول الله لقد علمت أن أمر رسول الله أعظم بركةً من أمري، هذا عمر بن الخطاب، ينتصر للحق دائماً حيث كان الحق.

معرفة عمر لأقدار الرجال

الموضوعات طويلة جداً وشخصية عمر لا تنقصي، لكن آخر ما أريد أن أقوله:

{ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ أَخْذًا يَطْرَفُ تَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ، فَقَسَلَمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ تَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي قَاتِي عَلِيٍّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ تَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ: أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي يَنْفُسِيهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي، مَرَّتَيْنِ، يَقُولُ أَبِي الدَّرْدَاءِ: فَمَا أُوْدِي بَعْدَهَا {

(صحيح البخاري)

(أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ)، يعني دخل في غمار خصومة ما، عنده مشكلة، (فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ)، يعني تكلمت بشيء أسرع بالكلام، يحاسب نفسه أبو بكر رضي الله عنه، (فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي قَاتِي عَلِيٍّ)، شخصية عمر انفعالية، يحتاج وقت، شخصية موجودة بيننا كثيراً، (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ)، قبل أن يلقى عمر، يعني هو أعطى لنفسه الحق لأن يدعو له بالمغفرة لأنه أبو بكر، هذه لأبي بكر فقط، ولأنه يعلم من عمر، ويعلم من الذين رباهم، (ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ تَدِمَ قَاتِيً)، ندم عمر لأنه لم يغفر لأبي بكر، (حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ)، أشفق على رسول الله، (وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ)، أنا الذي ظلمته، أنا ظلمت عمر.



معرفة عمر لأقدار الرجال

هذه معرفة عمر لأقدار الرجال، جاء نفرٌ لعمر رضي الله عنه فقالوا: ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط ولا أقول للحق ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين فأنت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عوف بن مالك: كذبتُم، والله لقد رأينا من هو خير منه بعد رسول الله، فقال عمر: من؟ فقال عوف: أبو بكر، رضي الله عنه، فقال عمر: كذبتُم جميعاً وصدق، كنت أضلُّ من بعيري (يوم كان مشركاً) وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك.

هذه شخصية عمر رضي الله عنه في معرفة أقدار الرجال ومعرفة قدر أبي بكر رضي الله عنه، رضي الله عنهم جميعاً، وأكتفي بهذا القدر، وإن شاء الله إن يسر الله لنا في لقاءات أخرى نتابع في هذه الشخصية المتميزة.

والحمد لله رب العالمين

نور الدين الاسلامي